المحاضرة السادسة: الفرد والشخصية

المطلب الاول- مفهوم الشخصية وتعريفها

أ. مفهوم الشخصية:

إنَّ مصطلح الشخصية بنصِّ التعبير لا وجود له البتَّة لا في القاموس العربي غير المعاصر أولا، ولا في تعبير أي من العلماء المسلمين في تراث الفكر الاسلامي ثانيا. وحتى لفظ شخص لم يذكره القرآن الكريم قط ولم يستخدمه أحد من العلماء المسلمين قبل ابن سينا وأبي حامد الغزالي اللذين أشارا إليه بنظرة شمولية فيما كتَبا حيث حاولا دراسة الفرد من مجمل محاوره ومحدداته تقريبا ، فهناك مفردات دَّلت على الشخص في القرآن الكريم والأحاديث النبوية ثم في كتاباتهم مثل (انسان) و(فرد) و (امرؤ) ثم لفظ الذات -التي تُعطي معنى الحالة أو الساعة- في الكتابات المتأخرة، وقد عبر عنها الغزالي بأنها مترادفات متشابهة، حيثما أُطلِق أي مصطلح منها فهو دالٌّ على المصطلحات المترادفة الأخرى بل إن المصطلح الذي هيمن كان مصطلح "النفس". فالعرب لم تعرف لفظة الشخصية ولا مفهومها بدلالته المعاصرة ولذلك في كل الدراسات المعاصرة يؤخذ بدلالة المفهوم لا اللفظ .

وقد جاء الاشتقاق اللغوي لكلمة شخصية من الفعل "شخَّص"أي عاينه ظاهرياً وباطنيا، وأقام له أشكالا بارزة واضحة المعالم ذات كيان مرئي، ورد لفظ شخص (شخصية) في لسان العرب " جماعة شخص الانسان وغيره، والجمع أشخاص وشُخوص وشَخاص، وكل شيء رأيت جسمانه فقد رأيت شخصه وهو كل جسم له ارتفاع و ظهور". وفي المنجد "سواء الانسان وغيره تراه عن بعد، ويُطلق على الانسان ذكرا أو أنثى" أّما الشخصية فهي مجموعة الصّفات التي تميز الشخص عن غيره" وفي كل القواميس السابقة لم يأت ذكر الشخصية لا نحتاً ولا اشتقاقا ولا تصريفاً. وإنَّما ذُكرت في معجم اللغة العربية الذي عرَّف

الشخص (حسب الفلاسفة) بأنه " الذات الواعية لكيانها، المستقلة في إرادتها" وبالتالي الشخصية عندهم تسودها الذات وتتحكم بها بعد عمليات المقابلة والاستنتاج والهدم كما هو الحال عند فريديريك نيتشه ومنهم من يراها وحدة الذات بما فيها من وجدان وفكر و إرادة وحرية واختيار.

واستخدم مصطلح الشخصية في اللغات اللاتينية المنحدرة من اصول لاتينية وهي مشتقة من لفظة persona وتعني القناع، وهي بدورها مكونة من لفظتين *بير وسوناري*per-sonare ومعناها عن طريق الصوت، أي أن معناها عبر الزمن يعود الى المسرح الاغريقي حينما يريد الممثل أداء دور يضع القناع على وجهه لغرض توضيح الصفات المميزة التي يتطلبها الدور في هذه الشخصية ومن هذه اللحظة بدأ استخدام هذه الكلمة حتى تم تطويرها الى ما تعنيه اليوم من مفاهيم حديثة.

ب. تعريف الشخصية:

من الصعوبة الاتفاق على مفهوم واحد للشخصية، لذا نجد تعاريف كثيرة حاولت تناول الشخصية انطلاقا من اتجاهات ووجهات نظر مختلفة لأصحابها، ومن بين التعاريف التي يمكن ذكرها :

- تعريف واطسون Watson الذي يمثل المدرسة السلوكية أنّ الشخصية هي نتاج للتعود والتربية والتعلم، فالفرد لا تحرّكه دوافع موجهة نحو غايات بل مثيرات تصدر عنها استجابات. وهويعرف الشخصية بأنّها:"حصيلة أنواع النّشاط عند الفرد بأسلوب موضوعي لمدة كافية من الزمن، وفي مواقف مختلفة، تتيح التعّرف عنه عن كثب، كما أنها تّمثل مجموع عاداته التي تُميّزه عن غيره من الأفراد" وبذلك تكون عبارة عن نمط ثابت نسبيا لمشاعر الفرد وأفكاره وهي محصلة التفاعل بين العوامل الوراثية والبيئية التي يعيش فيها الفرد.
- أما فرويد Freud فينظر للشخصية بأنها التفاعل بين منظومات ثلاثة هي **ألهو**(وهو الجانب اللاشعوري في الفرد يمثل مستودع الرغبات والنزوات غير المعلنة والمكبوتة) **والأنا** (وهو الجانب

الشعوري من الشخصية يعمل على التوفيق بين منظومتي الهو والأنا الأعلىالذي يمثل البعد الأخلاقي في الشخصية فهو الضابط الاخلاقي والاجتماعي والرقيب لمنظومة ألهو وكلما كانت هذه المنظومات متناسقة أدى ذلك إلى نوع من التوازن النفسي الذي يحفظ الشخصية من الوقوع في الاضطرابات والأمراض النفسية،وأن الفرد كلما عاش طفولة سليمة أثر ذلك على شخصيته بالإيجاب مستقبلا لأن مشاعره وسلوكه يمثلان انعكاسا لتجاربه وخبراته في الطفولة.

- تعريف جونز دريفر بأنّها " اصطلاح يستخدم بمعان كثيرة بعضها دارج وبعضها سيكولوجي وأكثرها شمولا وقبولا هو التنظيم المتكامل والديناميكي للخصائص الفيزيقية والعقلية والخلقية والاجتماعية للفرد، كما يعّبر عن نفسه أمام الآخرين في مظاهر الأخذ والعطاء في الحياة الاجتماعية ، حيث تشمل الطبيعي والمكتسب من الدوافع والعادات والميول، والعقد والعواطف، والمثل والآراء والمعتقدات ، كما تتضح من خلال علاقته بوسطه الاجتماعي" وهو تعريف واسع جدا في صورة شرح موجز لمصطلح الشخصية
- ومن أشهر التعاريف المهمة للشخصية لدى علماء الاجتماع تعريف غوردان ألبورت GordonAllport الذي ينص أنها " ذلك التنظيم الدينامكي داخل الفردوقوامه النواحي النفسية والجسمية الذي يحدد الطريقة التي يتكيف بها الفرد مع عناصر بيئته" وهذا التعريف ينطوي في حيثياته على أبعاد ومجالات عديدة هي السيكوفيزيولوجية والعلائقية والكيفية التي تسهم في صقل وتوجيه هذا القوام الفردي النفس- جسدي في سبيل تحقيق التكيف الاجتماعي والصحة النفسية في علاقته مع المؤثرات الداخلية والخارجية.وهو ما يؤكده تعريف جوزيف نوتان للشخصية بأنها بناء نظري أو نموذج علمي يبنيه العالم انطلاقا من السلوكات الملاحظة والعلاقات المعاينة.

المطلب الثاني- نظريات الشخصية: لم ينصب اهتمام العلماء علىدراسة الشخصية فحسب بل وضع نظريات خاصة تقوم بتفسير السلوك الإنساني في إطار نظري منظم، حيث يمكن توزيع معظم نظريات الشخصية في ضوء ثلاثة اتجاهات:

- ❖ **الاتجاه الأول**: نظريات تصف الشخصية في ضوء المؤثرات البيئية والاجتماعية وتركز على الحتمية البيئية كالنظريات السلوكية.
- ❖ **الاتجاه الثاني**: نظريات تصف الشخصية في ضوء محددات بيولوجية خاصة (بنائية) مثل نظرية الأنماط والسمات والنظريات النفسية (الغريزية).
- ❖ **الاتجاه الثالث**: نظريات تصف الشخصية في ضوء محددات تجمع ما بين الاتجاهين السابقين مركزة على التفاعل القائم بين المحددات البيولوجية والمحددات البيئية الاجتماعية، كنظرية المجال.

وان كنا سنركّ ز على نظريةِ السّمات:

- ❖ **نظريات السمات**:تركّز هذه النظريات على تصنيف الأفراد وفق مقدار وجود وتوفرهم على مجموعة من السمات كالذكاء ومستوى الطموح وغيرها والتي تنطبق عليهم بدرجات متفاوتة،وقد جمع ألبورت قائمة تضم نحو 171 سمة للتمييز بين سلوك فرد ما وسلوك فرد آخر وهي موجودة فعلا لكن لا يسعنا رؤيتها وإنما نستدل عليها من خلال ملاحظتنا للأنماط السلوكية الثابتة لدى الفرد في مواقف عدة مما يمكن من قياسها كميا عند ألبورت من مجموع المنبهات أو المثيرات لمعرفة درجة توافرِ السّمة أو من خلال التحليل العاملي لكاتل الذي تشكل السمة له وحدة بناء الشخصية على عكس ايزنك الذي توجه نحو النمط أو الطرز ويعتبر السمة وحدة مكونة له، حيث تصنف الشخصية على حسب الأنماط الجسدية والفسيولوجية والسلوكية .

ومن ثمة فنظرية السمات تركّز على الفروق الفردية بين الأفراد وعند الفرد ذاته لتصف في مجموعها البناء الكلي للشخصية التي تعتبر مجموع ما لدى الأفراد من سمات سواء كانت أصلية ورئيسة أو ثانوية، فردية أو مشتركة (سوية في غالب الوصف ولكن هذا لا ينفي تعرضها للّلات المرضية)

المطلب الثالث - العلاقة بين الثقافة والشخصية:

أولا -تأثير الثقافة على الشخصية:

الشّخصية هي القدرة على السّلوك الاجتماعي، وهي تقاس بهذه القدرة فهي قبل كل ذلك خاصية اجتماعية تُكتَسب رغم كون الذكاء انفرادي لأن المجتمع هو الذي يربّي ويكّون الشخصية ويندرج تحتها مفهوم المهارات الاجتماعية أوالتفاعلية مع البيئة الخارجيّة،وهي تتفاضل بمقدار التفرق في هذا السلوك ، لذلك يوصَف الشخص غير القادر على التواصل أو الخدمة العامة أو الخاصة بأنه " ليس له شخصية" أو أنَّ " شخصيته سلبيةأو خائر الشخصية لا يُعتمد عليه أو أنّها " مرضية" ، وعليه تكون الخدمة العامة برهان أقوى اجتماعيا من الخدمة الخاصة. فهي إذن، القدرة على السُّلوك الاجتماعي الحسن والتأثير الفعال الذي يجعل ذكاءنا ومهاراتنا مجديين، والانجاز هو غاية السلوك الاجتماعي الحسن وغايته التأثير الفعال.

والشخصية الفردية حسب كامل محمد عويضة في كتابه شاعر وفيلسوف الإسلام (جزء 48)في(الصفحة 186) هي الوحدة المعبرة عن مقومات الفرد وهي التمثيل الكامل له المعبر عن قطاعاته الفكرية والنفسية واتجاهاته العملية، والفرد إمَّا أن تكون شخصيته ايجابية تمامًا أو غير كاملة الايجابية لأسباب نفسية أو عقلية أو جسدية أو نتيجة ظروف اجتماعية. والمجتمع الذي تكثر فيه الشَّخصيات الايجابية يتقدم نحو المجد سريعا ويرقى أخلاقا، مّما يجعل الطابع العام لهذا المجتمع هو الايجابية

المثالية، وكلما قلت فيه الشخصيات الايجابية كلما فقد هذا المجتمع كيانه وانهار ويكون محل الاطماع الاستعمارية وانحطاط مستوى المعيشة.

وعليه، فإن شخصّية الفرد تنمو وتتشكل من جوانبها المختلفة داخل الإطار الثقافي الذي تنشأ وتعيش فيه ، من خلال التمازج بين مكوناته الوراثية والنفسية الداخلية مع تجاربه وخبراته التي يكتسبها من بيئته الخارجية لتشكلا معا قواما فرديا متمايزا متمثلا للثقافة متكيفا مع محيطه.

وقد تؤثر الثقافة بصورة ملموسة على أبعاد الشخصية المختلفة سواء كانت جسدية أو نفسية أو تفاعلي كما يلي:

أ- تأثير الثقافة على الشخصية في بعدها الجسدي:

يمكن نتيجة ضغط العوامل الثقافية (في المجتمع على الفرد أو من رغبات وتطلعات وقيم الشخصية التي تنشأ وتتكون داخل هذا الإطار الثقافي كما ذكر ذلك هافجهريست في قائمته المتعلقة بمطالب النمو،ومن بينها دور الثقافة في تحقيق مطالب النمو العقلي من خلال اكتساب الفرد للمفاهيم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعلمية اللازمة للتّوافق مع المجتمع ومع العصر الذي يعيش فيه، لذلك فمطالب نمو الفرد ذات محتوى متغير فإلى جانب متغير المظهر النمائي لعملية النمو ذاتها يعتبر متغير الإطار الاجتماعي الذي يوجد فيه الفرد والذي يحدده الإطار الثقافي للمجتمع وما يتضمنه من عوامل اقتصادية واجتماعية وأسس علاقات الأفراد بينهم من الأهمية بمكان في التأثير على محتوى النمو الجسدي للفرد ومتطلباته،هذا من جهة ومن جهة أخرى،قد تفسَّر بعض الأمراض أو الاضطرابات النفسية أو الجسدية أو الاستعداد لها في ظل الثقافة السائدة في مجتمع ما،وفي حالات أخرى قد تجبر هذه الثقافة السائدة الأفراد على القيام بسلوكياتٍ قد تضر أجسامهم ولكنها تلقى القبول والتشجيع،مثلما كان سائدا في بعض الطبقات البرجوازية في الصين التي تقنع أو تجبر وتلزم الفتيات بثني أصابع القدم إلى الأسفل مع لبس الحذاء اعتقادا منهم أن هذا السلوك سوف يوقف نمو

القدم فيظهر صغيرا وجميلا يعطيها رونقا ومشيةً خاصة، لذلك كل دراسة أو نظرية قد تتعلق بالشخصية لا بد وان يكون مصدرها أو أن تكون لها علاقة بعلم الثقافة والانثروبولوجيا كون الشخصية توحي لدلالات الطبيعة البشرية المتميزة بالتغير النسبي والمرونة والقابلية للتعديل.

ب. تأثير الثقافة على الشخصية في بعدها النفسي:

لا تزال الثقافة تؤثر على البناءات والسياقات النفسية الثقافية للمجتمعات، مفرزة بنى نفسية واجتماعية تؤثر على ذات النسق، قد تجعل الأفراد منقادين وتابعين للآخر (كما هو الحال عند دراسة ظاهرة وسلوك القيادة بأنواعها) لوجود سمات نفسية للشخصية ومواصفات محورية لبنائها النفس-الثقافي، وإن كانت روث بيندكتتعتبر الثقافة كتدوين واسع النطاق للشخصية،وأن مفهوم الشخصية في رأيها - بمثابة النظير السيكولوجي لمفهوم الثقافة، عكس رالف لينتون R. Lintonالذي يدمج الثقافة بالشخصية،و يعتقد أن التركيبة الأساسية للشَّخصية لا تنظر إلى الشخصية الكاملة لفرد معين،بل إلى ذلك الجزء من خصوصيات شخصيته المشتركة بينه وبين سائر أعضاء المجتمع والتي تميزه عن سائر الأعضاء الآخرين. وقد أشارت بيندكت إلى عدم وجود اتساق عام في نمط الشخصية داخل الثقافة،وأنه طالما يعاد بناء الثقافة أو يتم تصورها ككيان مجرد من الواقع من سلسلة من مفردات السلوك والاتجاهات والقيم الفردية يصبح من الصعوبة بمكان أن تحدد الثقافة شخصية نمطية للفرد نظرا لتعقد الشخصية الفردية (في جانبها النفسي) مما يتطلب عمليات قياس ثقافي مقارن لأنماط الشخصية.

لذلك يلجأ الباحثون في الأبعاد النفسية للأفراد ضمن الدراسات المتخصصة إلى دراسة الثقافات الفرعية كمعيار أو كمقاربة نظرية تفسر بصورة أفضل تأثير الثقافة على السلوك المدروس كما هو الحال عند دراسة ظاهرة الاغتراب النفسي أو الاجتماعي عند الأفراد،لأن لكلّ ثقافة نسق أخلاقي خاص ينساق فيه الفرمتأثّراً بالمعايير الثقافية النفسية السائدة.حيث يرى إبرهام كاردنير أنّ أثر

شخصية الوالدين وأسلوبهما في التعامل النفسي والتربوي مع الطفل له تأثير كبير،حيث يؤكد على أنّ "الموقف الطفولي" يمثّل فترة نفسية حاسمة تكشف عن البناء القاعدي لشخصية الفرد.

ج- تأثير الثقافة على الشخصية في بعدها العلائقي والتفاعلي:

تتحكم في سلوكات الأفراد وتفاعلاتهم مع بعضهم البعض أساليب التربية التي تستند في غالب الأحيان إلى طبيعة خلفية المجتمع الثقافية وأساليب التعامل داخله،حيث أشار بيار بورديو PierreBourdieu إلى ما أسماه برأس المال الثقافي في مساهمته في النظرية السوسيولوجية.

يوضح بورديو أن الوالدين يزوّدان الأبناء برأس المال الثقافي وحلل بالتفصيل الطريقة التي تتفاضل فيها الاتجاهات والتصورات والأذواق والسلوكيات وكيفية ترجمة هذا الرأسمال الثقافي في نوعية وقوة ومظاهر العلاقات والتفاعلات بين صفوة المجتمع فيما بينهم وبين باقي أفراد المجتمع،وأثر ذلك على العملية التربوية داخل المؤسسات التربوية الذي ينجم عنه إعادة إنتاج رأس المال الثقافي،وهو ما يعزّز ما توصّلت إليه مارغريت ميد Margret Mead في أنّ كلّ فرد في المجتمع يسهم في إعادة شرح وإنتاج الأشكال الثقافية وبالتالي يسهم أعضاء المجتمع في عمليّة التغّير الثقافي.

توصّلت ميد إلى الجزم بأن الطبيعةالإنسانية (الشخصية)هي في النهاية نتاجثقافي،و أن خواص الذكورة والأنوثة سمات شخصية محددة ثقافيًا عندالجميع،وأوضحت في الوقت نفسه أن التغّيرات الثقافية التي تصطدمبالشخصّية الأساسية للمجتمعيكون مآلها الانحلال، ولهذا فإن المدخل البنيوي يعدّ من أجدى المداخل عند الحديث عن العلاقات النمطية الثابتة نسبيا المرتبطةبالنَّمط الثقافي داخل النسق الثقافي للمجتمع (تالكوت بارسونزTalcot Parsonsيطلق عليها مصطلح محافظ نمط النسقالفرعي للمجتمع).

ما سبق من آراء يعطي الثقافة أولوية باعتبارها الوعاء الذي ينتج أنماط الشخصيات ويؤكد وجود أسبقية الثقافة على الشخصية وبأن العلاقة بينهما تسير في اتجاه واحد (من الثقافة إلى الشخصية).

إذن، عن علاقة الثقافة بالشخصية عموما يمكن القول أن شخصية الفرد تتبلور عن طريق تلقي الثقافة من خلال مؤسسات التنشئة الاجتماعية والعمليات الثقافية سواء الايجابية منها أو السلبية مما يجعله يتمثل و يتشرب الثقافة كتراث ثقافي من عادات وتقاليد وقيم ومعايير وسلوكيات ومواقف ثقافية ينقلها من الأجداد إلى الأحفاد.

إلى جانب عمليتي التثاقف والانتشار الثقافي اللتين تسهمان في بناء وتطوير الشخصية وتكييفها عن طريق الاستضمار الثقافي مع بيئتها الداخلية والخارجية (البيئة الطبيعية والاجتماعية) من ميلاد الفرد الى غاية وفاته.

ثانيا - تأثير الشخصية على الثقافة:

إن أفراد المجتمع الواحد يتباينون و يتمايزون عن بعضهم البعض بسبب التباينات البيولوجيةالوراثية والمعيشية والبيئية مما يجعلهم يختلفون في مقدار وحجم أو تساوي وتشابه خضوعهم لعملية التنشئة الاجتماعية حيث لا يتلقون العناصر والمحتويات الثقافية بشكل متشابه ومتساو مما يجعل شخصيات مختلفة و متباينة تظهر في المجتمع تتميز بسمات شخصية فردية تشكل إحدى محددات الدوافع والسلوك الفردي.

هذا التنوع والاختلاف في السمات الشخصية الفردية يؤثر على ثقافة المجتمع من حيث الثبات والتنوع والتأثير،كون الأفراد ذوو الشخصية الأكثر تأثيرا أو ذوو الشخصية المتميزة الابتكارية أو العبقرية يمكنهم إحداث فارق وترك أثر كبير على باقي أفراد المجتمع عامة وعلى ثقافته جملة وتفصيلا،ومثال ذلك تأثير شخصية الأنبياء (عليهم السلام) على قومهم وثقافة بلدهم بل العالم بأسره ، ثم العارفين والصالحين والعلماء...وغيرهم